مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية
المجلد (١٧) العدد (٩) تشرين الأول (٢٠١٠)

فنّ التطعيم السومري
" نماذج منتخبة "

م. م. إسراء عبد السلام مصطفى

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد:

إن الدراسة المعمقة للنتاجات الفنية بعامة وفن التطعيم بخاصة تعبر عن مرحلة متطورة في الفن التشكيلي والفنون التطبيقية وينبغي أن تسبقها مراحل من التراكم الفني في تنفيذ هذا الأسلوب من النتاجات الفنية، لذلك فإن نماذج تلك الفنون تلقي الضوء على جانب مهم من النتاج الحضاري وفهمه بشكل أعمق كما تعكس الأحاسيس وأسلوب تفكير الشعوب، وتظهر تقانة الأعمال الفنية المنفذة وقيمتها الجمالية فضلاً عن معرفة مستوى الخبرة أو ما يعبر عنه بمراحل التراكم المعرفي لتنفيذ مجموعة الأعمال الفنية المنتجة.. ومن جانب آخر كانت النتاجات الفنية ترتبط بكل تأكيد بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والديني للسكان آنذاك.

كان الصناع ينفذون أعمالهم باستخدام وحدات وعناصر زينة التطعيم على مواد متنوعة، منها الحجر الملون والمعادن فضلاً عن مواد أخرى. وربما تطورت اساليب استخدام هذه الواحدات الفنية من ملء واشغال الأفاريز المصورة التي تزين واجهات الابنية، وملء الحاجيات والاواني والاثاث الثمينة بالزينة.

وقد استعنت في إعداد هذا البحث ببعض المصادر الإسلامية بطرائق التطعيم في الفنون التطبيقية والتشكيلية فضلاً عن المصادر الآثارية ذات العلاقة.

التطعيم في اللغات العراقية القديمة: عرف التطعيم في اللغة السومرية KA.KA.DIو SI.GA.DI في حين ورد في اللغة الاكدية بعدة مصطلحات منها نخسُ nihsu و تمليتُ tamlitu و صبارُ saparu و شمادُ šamadu و إخزيتُ ihzetu

اهم المواد المستخدمة في التطعيم:

المعادن:

الذهب:

أطلق على الذهب في اللغة السومرية اسم (KI.GI) ومعناه الحرفي: (الأصفر اللامع) ويقابله في اللغة الأكدية اسم (hurasu)[١].

يعد الذهب من أهم المعادن التي عرفها العراقيون القدماء وأفادوا من خواصه على الرغم من عدم وجود رواسبه في ارض العراق، إلا أنهم قاموا باستيراده من المناطق المجاورة التي يتواجد فيها، إن الكميات القليلة نسبياً التي يتواجد بها الذهب مع لونه الجذاب وديمومته الفريدة جعلته مرادفاً عالمياً للثراء والثروة فضلاً عن انه أكثر المعادن قيمة. ولهذا فان استخدامه كان محدداً بدرجة كبيرة للزينة الشخصية والاستعراضات الواضحة والرائعة للثروة في المعابد والقصور والمباني الفخمة الأخرى، فضلاً عن استخدامه بنسبة ضئيلة في المداولات التجارية، وكانت عملية دفن الذهب مع الأموات كانت علامة دالة على رقي الحالة الاجتماعية والثروة الخاصة، واللقى الأثرية من المدافن النادرة الغنية بالذهب، والتي تم العثور عليها سليمة، ولا سيما في القبور الملكية بأروقة تعطي رؤية قيمة ومهمة على النوعية التي امتازت بها الأعمال الذهبية لبلاد وادي الرافدين في الألف الثالث قبل الميلاد [٢].

كانت أهم المصادر الرئيسة لتجارة الذهب كان في أور، وقد كشفت التحليلات التي أجريت على عقد من الذهب يعود إلى عصر فجر السلالات عثر عليه في المقبرة الملكية في مدينة أور أنَّ منطقة (باكتلوس) في غرب تركيا يجب عدها مصدر الذهب السومري، لأن التحليل الدقيق باستخدام أشعة (x) اثبت أن محتويات هذا العقد مؤلفة من مزيج من خليط

البلاتين واريريديوم وأرمينوم فضلاً عن الذهب، وهذه هي المعادن الثلاثة أشبه ما تكون بالمعادن النادرة، وغالباماتكون موجودة في رواسب الذهب الغرينية [٣]، ولوحظ أن استخدامات الذهب كانت عديدة في صناعة الحلي على اختلاف أنواعها كالأقراط والأساور ومشابك الرأس وتيجانها وأشرطتها وحلي أخرى، وكذلك صنعت منه التماثيل الملكية وتماثيل الآلهة وبعض استخدامات المعبد وقطع الأسلحة كالسيوف والخناجر وأغمادها والأواني والكؤوس ورؤوس الصولجانات والآلات الموسيقية كما استخدام الذهب أيضاً في أغراض التطعيم التي وشملت قطع الملابس وألبسة الرأس والأثاث والأبواب والعربات والرايات [٤].

إن الدليل المادي المتبقي في الوجود بخصوص استخدامات الذهب في بلاد وادي الرافدين يتركز في المكتشفات في المقبرة الملكية في أور ومنها الآلات والأدوات المصنوعة من الذهب المكتشفة في المقبرة الملكية في أور.

الفضة:

من المعادن التي استخدمت في التطعيم وقد صُنفت بدرجات متباينة من ضمنها الفضة النقية أو الصافية المغسولة أو اللماعة والقوية أو الصلبة، وكانت الفضة تصاغ بأشكال عديدة شأنها في ذلك شأن باقي المعادن الأخرى [٥].

وقد أطلق السومريون على الفضة مصطلح (KÙ. BABBAR) وهذا المصطلح السومري يتألف من مقطعين، الأول منهما (KÙ) ويعني: (نقي، طاهر) ويعني المقطع الثاني (BABBAR) أبيض، بحد ذاته فضة أو نقد فضة، وتقابل المصطلح في اللغة الاكدية المفردة (Kaspu) التي تعني: فضة [٦].

ان الإشارات التي وردت في النصوص المسمارية عن مصادر الفضة المستخدمة في بلاد الرافدين تتمثل بتلك المناطق المنتشرة في سواحل الخليج العربي وبلاد الأناضول مثل اراتا ومارخاشي ودلمون وميلوخا، وتقع أغنى مخزونات الفضة في بلاد الأناضول في جبل طوروس الذي اطلق عليه العراقيون القدماء (جبل الفضة)، وقد قامت هذه المناطق بتزويد بلاد الرافدين بالفضة منذ بداية الألف الثالث قبل الميلاد على أقل تقدير، أما عن أهم الاستخدامات للفضة

فكانت على شكل طاسات وأوان للزينة فضلاً عن الحلي الشخصية وصناعة التماثيل الصغيرة وتصفيح الأخشاب إلى جانب والتبادل التجاري بها سواء أكانت بشكل حلقات أم بصورة خاصة أو معدن يتم التعامل معه بالوزن [٧].

النحاس:

أطلق على النحاس في اللغة السومرية مصطلح (URÛD) تقابله في اللغة الاكدية المفردة (eru) وكذلك (Weriu - Weru) [٨].

يوجد النحاس في الطبيعة على شكل كاربونات أو سليكات أو اوكسيدات، وقد استورده السومريون على شكل (ملاكايت) تعني كاربونات النحاس الخضراء. وهي أكثر أشكال النحاس انتشاراً وأسهلها في العمل، وغالباً ما يكون مخلوطاً مع شوائب وأتربة ورواسب معدنية [٩]، إن خامات النحاس بصورة عامة منتشرة في الشرق الأدنى وتقع العديد من المصادر الكامنة في المناطق المجاورة لبلاد الرافدين والتي لعبت دوراً مهماً في تجهيز بلاد الرافدين بالعديد من المعادن، ومن أهم المناطق التجارية مناطق الخليج العربي التي لعبت دوراً كبيراً في سعة الموارد المستوردة منه أو عن طريقه، وقد صنعت من منه أدوات القطع والقشط ورؤوس الفؤوس وقد صنعت هذه الأدوات بأشكال تحاكي الأدوات الحجرية المصنوعة من حجر الصوان [١٠].

أهم الأحجار المستخدمة في فن التطعيم:

حجر اللازورد [١١] (NA_4. ZA. GIN)

كان حجر اللازورد ذا أهمية كبيرة في بلاد الرافدين منذ زمن مبكر وعلى التحديد في فن التطعيم منذ أواخر عصر العبيد، إذ عثر في موقع (تبه كورا) بالقرب من بعشيقة في محافظة نينوى في العراق، على حجر من اللازورد هو حجر بنوعية جيدة جداً، يحتوي على نسبة قليلة جداً من الشوائب الكلسية (الجيرية) وعادة ما يكون متجانساً ويتطابق اللازورد في طبقات قوالب الكالسيت كعروق، ولذلك فانه يوجد في كتل صغير نسبياً فقط، وقد استخدم في الألف

الثالث قبل الميلاد، بصورة رئيسة في صنع الخرزات وأعمال التطعيم و الترصيع والأختام الاسطوانية، وتذكر النصوص المعجمية والأدبية أشياء كثيرة من هذا الحجر، إلا أن تلك الأشياء لم يبق منها إلا ما ندر، إن جمال اللازورد وندرته وصلابته جعلته من أكثر أحجار بلاد الرافدين قيمة، وأصبح تقليداً لأعمال التزيين السومرية الدالة على الترف والرفاهية خاصة الجمع مع الذهب والعقيق الأحمر، ولقد كانت عبارة اللازورد تركيباً مجازياً وردت في الصيغ الأدبية للتعبير عن الثروة الكبيرة، وهو مرادف لكل الأشياء الساطعة الفخمة والزاهية أو سمات أخرى للأبطال والآلهة [١٢].

الفيروز: الشذر

عرف بالاكدية بلفظ (**Abne biruti**) وهو حجر أخضر مشرب بزرقة صافي اللون يصفو لونه مع صفاء الجو لأن ارتفاع نسبة الرطوبة فيه تؤثر في لون المعدن بالانطفاء، ويسمّى حجر النصر بالفارسية اعتقاداً منهم بأنه يدفع عن حامله شر العيون المؤذية لهذا فإن الملوك والحكام في الحضارات القديمة كانوا يحرصون على اقتنائه [١٣].

العقيق:

عرف باللغة السومرية (**NA4. GUG**) وبالأكدية **Samtu** وتعني عبارة (**NA4. GUG. Meluhha**) الحجر الأحمر من بلاد ميلوخا. وهناك عدة أنواع منه حجر الورد، حجر الورد الأحمر، وحجر البني المحمر.

اللؤلؤ:

عرف باللغة السومرية بلفظ (**NA4. HA**) وبالأكدية بلفظ (**nuni - in**) وكلا اللفظين يعنيان حرفيا (عين السمك). وهو عبارة عن جوهر كروي يتكون بفضل حيوان يعيش داخل صدفتين منطبقتين على بعضهما تسميان المحار، من عادة هذا الحيوان انه يفتح مصراعي[١٤] محارته أثناء وجوده تحت الماء ليتغذى فتدخل المحار مجموعة من الذرات الصغيرة من الرمال العالقة بالماء مما يجعله يفرز مادة هلامية (مكونة من مادتي الكونكيولين وكربونات الكالسيوم) فتتصلب وتصبح نواة لحبة كروية الشكل براقة من اللؤلؤ [١٥].

وقد عني سكان بلاد الرافدين عناية خاصة بالصدف والعاج في فنهم الزخرفي واستخدموها بمهارة وذوق رفيع. وكانوا يحصلون على كميات وفيرة من الصدف من شواطئ الخليج العربي. يقطعونه على هيئة أشكالاً هندسية من مثلثات ومستطيلات ومربعات ومعينات أو صور مختلفة لرجال ونساء وحيوانات يجعلون منها لوحات في تكوينات كبيرة [١٦] إلا أن سرعة قابليته للكسر جعلت استخدامه في هذا الغرض نادراً والغريب أن التطعيم بالصدف الذي انتشر في الألف الثالث، ولا سيما في عصر ما قبل سرجون (٢٨٠٠ . ٢٤٥٠ ق. م) قد اختفى تماماً في القرون التالية في حين ظل نحت العاج مستمراً [١٧].

طرائق التطعيم:

١. الحفر.

٢. التكفيت.

٣. الترصيع.

أولاً: الحفر:

من أعم وأيسر هذه الطرائق التي استخدمها صناع المعادن والتي تتم على مراحل. أولها تهيئة الصفيحة المعدنية ثم توضع الصحيفة على قالب خشبي، التي حفرت عليه الزخارف المطلوبة حفراً بارزاً أو غائراً ثم يدق أو يضغط ضغطاً قوياً على الصحيفة حتى تأخذ شكل الزخارف المرسومة على القالب الخشبي، وبعد ذلك تملأ بمادة معينة، ومن أكثر المعادن التي تكون سهلة وطية يسهل تشكيلها على القالب هي الذهب والنحاس والفضة، وتستخدم هذه الطريقة في زخرفة المعادن الصلبة [١٨].

ثانياً: التكفيت:

وهي الطريقة الثانية التي استخدمت في زخرفة المعادن، ويكون بحفر رسوم على سطح معدن، ثم ملئ تلك الزخارف المحفورة بمادة أخرى بهيئة اسلاك من الفضة اوالنحاس الأحمر، وتتم الطريقة برسم الشكل المطلوب على المعدن، ثم يبدأ النقاش برسم وتحديد الخطوط

الخارجية للأنموذج المطلوب بآلة مدببة، وكذلك يزيل الأرضية بواسطة الأزاميل داخل هذه الأشكال أو داخل أجزاء من هذه الأشكال، مع إبقاء ارتفاعها الأصلي لبعض الأجزاء، ثم تهيأ الصحيفة المعدنية التي يراد تكفيتها إلى الشكل الزخرفي المطلوب، ويتم التكفيت بواسطة بآلة مثلثة المقطع ويكون الضغط جزئياً فوق حافة المعدن الأصلي لتمتد قليلاً فوق حافة شكل المنزل [١٩].

وهناك طريقة أخرى في التكفيت:

وهي إزالة طبقة معينة من سطح المعدن المراد تكفيتية بآلة غير حادة واحداث جدول على السطح المراد تكفيته، ثم ملؤها بمادة التكفيت ثم تطرق تلك المادة بواسطة الآلات خاصة لأجل تثبيتها [٢٠].

وهناك طريقة أخرى تتمثل بزخرفة المينا لا تشبه إلى حد كبير صناعة التكفيت غير أن التكفيت هو زخرفة المعدن الأصلي بمعدن آخر، يكون أغلى منه ومختلف عنه في اللون،في حين تكون وزخرفة المينا بالفصوص، تبدأ بصب المينا وهي عبارة عن مزيج مكون عادة من زجاجية مع اكاسيد في حواجز معدنية رقيقة تلتصق على المعدن في مكان الزخرفة، وفي هذه الحالة تبدو الأواني المعدنية مرصعة بالأحجار الكريمة، وطريقة أخرى بوضع المينا بالتجاويف التي سبق حفرها مكان الزخرفة، وبعد ذلك توضع التحفة في النار حيث تثبّت المينا في الشقوق المحفورة[٢١].

لقد رصعت الكنوز التي عثر عليها في القبور الملكية بأور بالمينا عن طريق الحامها على صفيحة قاعدية (أساس) لتكوين خلايا الترصيع (التطعيم) على حلقات الأصابع (الخواتم) وهذا الخاتم (حلقة الاصبع) مرصع باللازورد والعقيق الأحمر، وكانت حلي الشعر فضية في أور وتنتهي بأزهار مطعمة [٢٢].

ووجدت هذه الزخرفة على تقنيات متعددة في عصر السلالات الثالثة.

وهناك طريقة أخرى هي التخريم. وهو الاستخدام المنمنم (التزييني) لسلك ناعم لعمل آثار (أخاديد بارعة) والمستخدم على خنجر ذهبي مشهور في أور إلا انه ظهر في مستوى أعلى من التطور التقني في الخرزة ذات الوجهين التي عثر عليها في القبر نفسه [٢٣].

الصائغ:

وردت تسمية الصائغ في النصوص المسمارية بالمصطلح الاكدي نباخ . خراص (**nappah - hurasi**) أما مشغل الصائغ أو مشعله فقد ورد بصيغة كُتِم (**Kutimmu**)، قد كان الصائغ يتفنن بإنتاج الحلي وأدوات الزينة على اختلاف أنواعها وأشكالها سواء أكانت من الذهب أم من الفضة، فكان بمثابة الفنان الذي يصنع الحلي وقد اتبع أساليب معينة ورائعة في باستخدام فن التطعيم [٢٤].

أما الأدوات الرئيسة التي كان يستخدمها الصائغ: مثلة (شيء ما) من الخشب، مطرقة وأحد الأنواع السنادين من جذوع الاشجار، وكذلك أزميل للقطع ومثاقب أو مخارز للثقب (عمل الثقوب) وأزميل للحفر أو النقش(منقاش) ومصقلات (أدوات صقل وتلميع) فضلاً عن الات أخرى مثل أنبوب النفخ ودورق صهروبودقة وقوالب وأصباغ ومواد لحيم ومعاجين لصق ومواد مساعدة على الانصهار ورمال ناعمة للتنعيم (الصقل)مثبتة على قطع من الجلود وشمع لصنع النماذج المطلوبة [٢٥].

ففي طلي أوتار القيثارة مثلاً أُعتمد النوع الأول منه على الطي (ثني) الميكانيكي للرقاقة على حواف الشيء المراد تثبيتها عليه أو تغطيته بها وربما تكون الربطة قد تم تحسينها بحواف لاصقة أو متداخلة يتم ربطها بصقلها ولفها معاً [٢٦].

أما ربط صفائح الذهب الرقيقة جداً أو دعم وزنه الخاص به فانه بحاجة إلى طريقة ربط أو لصق بمادة لاصقة معينة قد تكون مبنية أساساً على بياض البيض أو أن يتم لصق الورقة بالفضة أو النحاس النقي عن طريق صقل الأخير (النحاس مثلاً) مما يعطي المعدن نظافة دقيقة جداً يوضع يتم وضع الذهب عليه مما يعزز التصاق الذهب عملية تسخينه بدرجة حرارة واطئة من أجل دعم تغلغل الذهب وتداخله مع المعدن الذي يقع تحته، وتعرف هذه بعملية الربط

المتداخل أو الاكساء وتعد إحدى وسائل الطلي البدائي المستخدمة حتى الحقبة الاخمينية [٢٧].

ومن طرائق الطلي الأخرى (الربط) الطلي بالنار، وتتم عن طريق نشرمسحوق الذهب (المسحوق بصورة ناعمة) مع الزئبق فوق سطح الفضة، وثم تسخينه لكي يتبخر الزئبق تاركاً الذهب وراءه ملتصقاً بالف وتسمى هذه العملية بـ (الطلي بالاستنفاذ) [٢٨] ونرى ذلك في تركيب رؤوس الحيوانات كما في الماعز التي عثر عليها في بالمقبرة الملكية بأور وهي واقفة على قدميها الخلفيتين التي عملت من رقائق الذهب ولعل رأسها قد تم طرقها أولاً على شكل طاسة ومن ثم يصاغ شكله النهائي بالمطرقة وأدوات النقش أما الآذان والقرون فكانت تركب بصورة منفصلة وهذا يفترض بأن القير (بيتومين) هو الجزء الأهم في عملية التشكيل عن طريق سكبه في القالب بعد عملية الصياغة لكي يدعم العملية ونلاحظ ان معظم النقوش أو الزينة في أعمال أور الذهبية قد تم عملها بالنقش(بالطرق) وليس بالحفر (النحت) كما في التيجان وكل هياكل الأشكال (الرموز) التي تم ضغطها وطبعها بالطرق على الحافة المسطحة لأداة النقش أو الصبغ على الذهب [٢٩].

أما النقش بالحفر الحقيقي على الذهب فتمثل على طاسة ذهبية تعود إلى ٥٠٠٠ ق. م تقريباً إذ تم حك الأخاديد في الأعلى من قبل النقاش (النحات) بينما تم نقش الأنموذج حول (الحافة). وأقدم ملاحظة للطرق والترصيع تم في عصر السلالات الثالث من أور، وإذ طرقت أشرطة من الذهب على خطوط محفورة فوق رؤوس الرماح، وهي التقنية ذاتها التي استخدمها الآشوريين بعد ألفي سنة لترصيع جعال الذهب على الأوزان البرونزية المصبوبة في قالب [٣٠].

نماذج منتخبة:

راية أور [*]:

لقد ولع السومريون بصنع تقنيات متعددة على شكل أفاريز مطعمة قد يكون وراءها حب السومريين للألوان البراقة والتلوين الزاهي، لأن الفرد الجنوبي يقوم بتصميم الواحدات

بحدود واضحة وألوان متضادة(متباينة)، وكان محتوى المواضيع المطعمة رسوماً ملونة ولعل أجمل مثال على ذلك راية أور.

وقد تميز السومريون بقدرة على نحت أشكال من العاج والأصداف وبرعوا في تكوين مناظر من هذه الإشكال [٣١] وذلك لتثبيت القطع المنحوتة على سطح مغطى بالقار عادة [٣٢].

تعدّ راية أور من نفائس فن التطعيم إذ أن لها قيمة فنية بالغة الأهمية، وهي قطع تحتوي على مواضيع وزخارف مختلفة استعملت في تزيين الأدوات والأثاث وقد عملت سطوح هذه القطعة بطريقة التحزير أما موادها فوق أرضية من أحجار الشذر [٣٣]. وهي قطعة مطعمة ذات وجهين، لكل وجه ثلاثة حقول يفصل بينها حاشية مطعمة بتزيينات هندسية عملت بطريقة التطعيم [٣٤]. ومن أحسن الأمثلة على هذا الأسلوب هذه اللوحة (راية أور) التي عثر عليها في مدينة أور، تحوي صوراً من الجهتين في صفوف أفقية ومواضيع متشابهة مع مواضيع اللوحات الحجرية السابقة، وتفصل هذه الصفوف زخارف هندسية. فعلى الحقل الأول الجيش والعربات الحربية في طريقها لمحاربة الأعداء. ويوضح الجانب الآخر الاحتفال بالنصر ويستعرض فيها الملك الغنائم التي استولوا عليها، إن مشاهد هذا اللوح أكثر وضوحاً من مشاهد الألواح الحجرية[٣٥] (ينظر الشكل ١).

إذ هيأت طريقة تثبيت الأشكال على سطح اللوحة فرصة أكبر للفنان في توزيع الشخصيات على السطح مما ساعده في الحصول على نتيجة أحسن، كما استلزمت بعض الخامات خاصة الاصداف الرقيقة عناية خاصة في نحت الأشكال، ويلاحظ أن الفنان السومري صور الأشكال بالتفاتة في الجذع وبشكل أمامي والوجه بشكل جانبي، أما العيون فبشكل أمامي والأرجل بشكل جانبي [٣٦].

القيثارة:

أطلق على القيثارة في اللغة السومرية مصطلح (ÁB. ZÀ. MÍ) يقابله في اللغة الأكدية (ap (u) sammikku) [٣٧].

وتعدّ القيثارة الذهبية من نفائس المقبرة وأنموذجاً آخر لصناعة التطعيم المتطورة، ذلك اللوح الصغير الذي يزين مقدمة صندوق القيثارة الذهبية المكتشفة في أور، والمعروضة حاليا بمتحف فيلادلفيا [٣٨].

القيثارة تتكون من صندوق خشبي مطعم بالذهب ومصفح بأشرطة ذهبية عريضة، ومفاتيحها نحاسية مزدانة بقضبان مذهبة، والحافات السفلى مزينة بأسلاك من الذهب، وفي داخل الصندوق رباط يربط حواشيه وهو منزل بالصدق ومزين بالأحجار الكريمة [٣٩] وكذلك مصبوغ بالدهان الأحمر [٤٠] (ينظر الشكل ٢).

نلاحظ أن الفنان السومري لم يتقيد بقيود معينة فقد استطاع أن يتوصل إلى إتقان كبير في صياغة رؤوس الثيران والأبقار التي زينت بها القيثارات التي عثر عليها في مقبرة أور الملكية، إذ تميزت هذه الصياغة بحيويتها المدهشة فبكل حذاقة سبكت طية [٤١] من طيات وجه الثور كما أظهر لنا الفنان السومري عشقه للتطعيم الذي لعب دوراً كبيراً في فن الصياغة، فالشعر الغامق للحية الثور الكثة مصنوعة من حجر اللازورد، تخفف من شدة التعابير القاسية الموجودة في وجه هذا الحيوان، واستطاع الفنان هنا أن يظهر تعبيراً جيداً في العيون الواسعة المطعمة قرنيتها بحجر اللازورد وبياض العين بالصدف الأبيض، أما بقية الأجزاء كالأذنين فقد صاغهما مرفوعتين وكأنهما قمع [٤٢].

وتزين مقدمة صندوق القيثارة أربعة حقول أحدهما فوق الآخر، الأعلى منها يصور بطلاً أسطورياً يمسك بثورين على جانبيه، أما الحقل الثاني والثالث منها فيمثلان حيوانات بفعاليات مختلفة كالعزف على القيثارة أو تحضير الطعام، وهي تقلد بحركاتها الإنسان، أما الحقل الأسفل فيظهر عليه الرجل العقرب يتبعه حيوان منتصب في حالة السير خلفه جرة [٤٣] (ينظر الشكل ٢).

لقد أعطانا الفنان السومري في فن الصياغة المستوى التكنيكي الرفيع، وأبدع ما عثر عليه في المقابر الملكية بأور وهذه المجموعة الكبيرة من الأعمال الفنية المصنوعة من المعادن كالذهب المطعم بالأحجار الثمينة كاللازورد والعقيق والرخام، كذلك مصنوعات أخرى استخدم فيها الطرق والتطعيم بمختلف المعادن، منها:

الخوذة الذهبية:

تم العثور عليها من خلال مجموعة كبيرة من أكاليل الزينة المصنوعة من الذهب الالكتروم (*) والتطعيم بالمعادن الأخرى. وما يثير الانتباه هنا الدقة المتناهية في صياغة أجزاء الخوذة الحربية وكأنها شعر مستعار، والمحلاة بالزخارف الدقيقة المحيطة بالوجه [٤٤] وهناك بروزان جانبيان يمثلان الأذنين أما المنطقة المحيطة بهما. فالزخرفة يأتي على شكل خصل من الشعر المنساب الملتوي الأطراف باتجاه الوجه وحسب [٤٥] (ينظر الشكل ٣). انسياب خصل الشعر الطبيعي للإنسان، كما نلاحظ الأشرطة وزخارفها وقد تمكن الفنان من سبك هذا العمل الفني بدقة متناهية في الكمال.

الخنجر الذهبي (*):

ومن الحلي الأخرى التي عثر عليها في مقبرة أور خنجر ذهبي مع غمده زيّن بزخرف مخرمة من الذهب والأحجار الملونة تبدو حبيبات صغيرة من الذهب [٤٧]، تصف هذه الخطوط تنزل بالتدرج ضمن الخط المتكون من خمس حبيبات إلى ذي أربعة ثم ذي ثلاثة إلى الخط ذي الحبة الواحدة، وتحت مقبض الخنجر تتكرر الحبيبات نفسها (ينظر الشكل ٤)، ونلاحظ في غمد الخنجر الدقة والروعة في الزخرفة. وفي كلتا جهتيه وعلى شكل مقاطع زينت بزخرفة معينة وأشكال زخرفية متعددة وهي تبدأ صغيرة الحجم ثم تتقلص تدريجياً حتى تصل إلى نهاية الغمد الخارجية [٤٨]. إن صياغة هذا الخنجر تعدّ قمة في الصنعة والمقدرة التي استطاع أن يتوصل إليها صانعه في الألف الثالث ق. م، لقد اتبعت أساليب فنية رائعة في صياغة هذا الخنجر ومنها أسلوب التخريم والتحبيب، وقد وجدت نماذج من قطع الحلي والأسلحة زيّنت بنفس الأسلوب[٤٩].

الكبش (العنز):

ومثال آخر لمجموعة تنطق بحيوية الفن الأصيل الذي يصور الحيوان دون أية شائبة ممزوجاً أحياناً ببعض الإضافات الزخرفية التي تنم عن خيال خصب، كما الكبش أو (العنز) التي شبت معتمدة على أرجلها الخلفية، وأرجلها الأمامية متعلقة بشجرة مزدهرة (ينظر الشكل ٥)، يعد هذا العنز المستند إلى شجرة من أجمل وأدق القطع التي وجدت في

احد مدافن المقبرة الملكية. وقد صنع جسمه (العنز) من الخشب وحشيت رأسه وسيقانه برقائق الذهب وبطنه برقائق الفضة [٥٠]. وتشكل القرنان وشعر اللحية من الصدف واللازورد وتم لصقها بالقار. وقد لجأ الفنان إلى تقوية الجسم بحامل خشبي برز من ظهر الحيوان ويكون هذا الحامل مع القرنين ركيزة من الجائز أنه كانت تحمل وعاءً صغيراً.

قلائد وزهور الزينة:

كما ذكرنا آنفاً فقد عثر على حلي وأدوات زينة في المقبرة الملكية بأور ومجموعة كبيرة من القلائد التي صنعت من الذهب وكانت خرزاتها من الفضة أيضاً ومختلف الأحجار الكريمة. وكذلك بعض التزينات التي تحلي الرأس [٥١]. وكانت الحلي على اختلاف أنواعها كالأقراص والخواتم والأساور ومشابك الرأس وتيجانه وأشرطتها وحلي أخرى والتي كانت مرصعة بالأحجار الكريمة.

لقد ذكر التطعيم في الفترات اللاحقة في عدد من نصوص أور الثالثة منها ما كان ينفذ على قطع الحجر أو على الأثاث أو على أغماد الأسلحة أو الأخشاب وعلى الأبواب إذ تذكر النصوص على سبيل المثال:

ا شيقل من الذهب النقي لتوضع على

رقيم من جحر اللازورد [٥٢]

ا قطعة كرستال

و اكسر من الكرستال لترصيع

هلال وشمس

من الذهب الأحمر

الخاتمة:

إن هذه الأعمال الفنيةتثير الاعجاب والدهشة لدقة صنعها وسبكها فبذوق رفيع استطاع الفنان السومري أن ينفد هذه الأعمال، وفي الوقت نفسه يتضح لنا بأن خاصية التطعيم في هذه الأعمال تكمن في أن الفنان لم يتقيد بما تتطلبه الطقوس الدينية بأمر الزبون لذا استطاع بكل حرية أن يسبك ويصوغ أعماله من خلال تصرفه الإبداعي.

أما في حالة تصوير الإنسان المتعبد أو الكاهن فقد لجا الفنان بإضافة أجزاء أسطورية للشكل لكي يتمكن من إيجاد فارق ما بين الإنسان والإله أو الملك. أما في تصوير الحيوانات فلم يتقيد بقيود معينة.

ومن أهم ما تم التوصل اليه في هذه الدراسة أن الأحجار المادة الأساسية في بلاد الرافدين استخدمت منذ عصر ما قبل التاريخ في صناعة العديد من الآلات والأدوات وغيرها من المواد. وكانت الطرق التي تتم بها عملية التطعيم متعددة ولكن أسهلها طريقة الحفر التي يستخدمها الفنان في تلك الفترة فضلاً عن الطرائق الأخرى كالتكفيت والتنزيل، كما كانت طرائق الربط واللحام متميزة ورائعة، وحسب طبيعة المواد المستخدمة، منها صفار البيض، والقار ورقائق الذهب وغيرها. إن النماذج المنتجة كانت دليلاً على المستوى الفني الحضاري والذوق الرفيع الذي وصل إليه السومريون. وقد أوضح فن التطعيم الحسن الفني لدى الصاغة وصانعي المجوهرات الذين اثبتوا جدارتهم في صنعها فضلاً عن التقنيات العالية التي استخدموها في عملية صقلهم للأحجار الكريمة.

الشكل (١)

نقلا عن : بارو ، اندريه ، سومر وفنونها

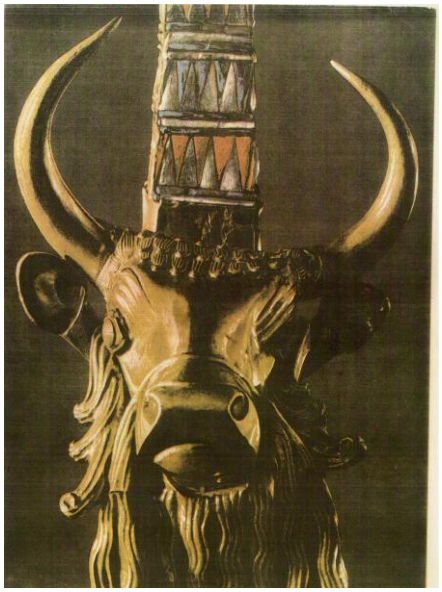

الشكل (٢) نقلا عن :

Fran fort, H, Arts and Architecture of the Ancient Orient , London , 1961 .

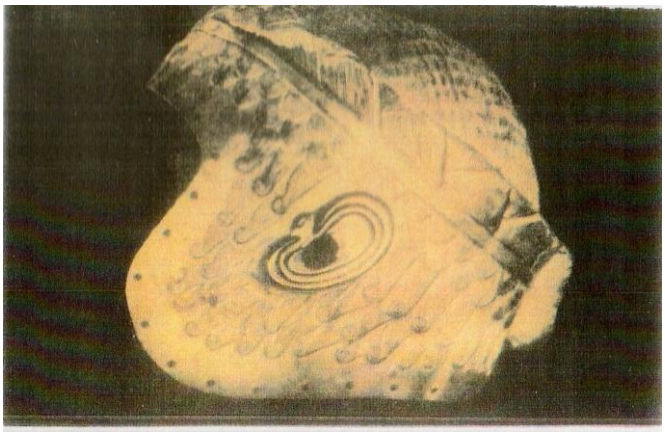

الشكل (٤)

Woolley, Leonard, Mesopotamia and the Middleeast

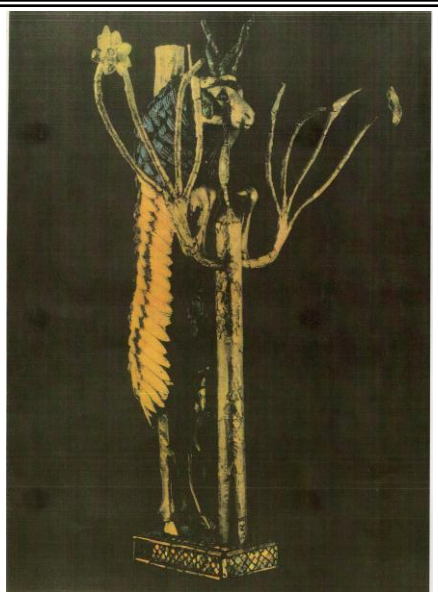

الشكل (٥)

نقلاً عن : **Woolley, Leonard, Mesopotamia and the Middleeast**

هوامش البحث:

(1) CAD, H, P. 245: b.

(2) Potts, T. , Mesopotamia and the Eastan Archaeological and historical Study foreigu Relations CA, 3400 – 2300 , Oxford, 1994 , P. 164.

(3) Maxwell. Hyslod, K. B. , Sourees of Sumevian Gold , Vol , P. 3911.

(٤) المتولي، نوالة احمد محمود، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية، رسالة دكتوراه، بغداد، ١٩٩٤، ص٣٨٨.

(٥) الجادر، وليد، صناعة التعدين، حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٥٢.

للمزيد ينظر: هاملتون،واخرون،المعجم الجيولوجي المصور في المعادن والصخور والحفريات،ترجمة:محمد فتحي عوض ،مصر،١٩٩٩،ص ٣٢

(٦) ليفي، مارتن، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٢٩.

(7) Moorey, D. R. S. Materials and Manufaetar in Ancient Mesopota the Eridence of Archoeology and Art – Metal and Metal Work, oxford, 1985, P. 234.

(8) CAD, E, P. 321: a.

(٩) المتولي، نوالة، المصدر السابق، ص٣٨٢.

للمزيد ينظر:هاملتون،واخرون،المصدرالسابق،ص ٣٣.

(١٠) المعماري، رعد سالم محمد جاسم، الاحجار والمعادن في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، موصل، ٢٠٠٦، ص١١٣.

(١١) اللازورد: حجر ازرق يسمى قبل غله وتمييزه عن اوساخه غشيم (أي خام) وجود الازرق المشاب بحمرة يسيرة الخالص جوهرة.

اللازورد: العوهق، الحجر الازرق تسمية فارسية الاصل، وقد استخدم منذ قديم الزمان في صناعة الحلي والمجوهرات وكان يفضل على الذهب وبعض الاحجار الكريمة ويذكرونه من قبل، والوانه ازرق، سماوي، وشفاف، وقاتم، وتتوقف جودته على جمال لونه الازرق.

واللازورد: حجر صلب املس الجسم يطحن ويستعمل في الاصباغ وتكون على وجهة (المجلي) خطوط ذهبية.

للمزيد ينظر:

المغربي، احمد بن عوض، قطف الازهار في خصائص المعادن والاحجار، بغداد، ١٩٩٠، ص١٥١.

زكي، عبدالرحمن، الاحجار الكريمة في الفن والتاريخ، الموسوعة المصرية العامة، ١٩٩٤، ص١٢٨ . ١٢٩.

الحلبي، عمر بن احمد، الاسرار في معرفة الجواهر والاحجار، تحقيق: بيروت، ط٢، بغداد، ١٩٩٠، ص١٠١ . ١٠٢.

(١٢) المعماري، رعد سالم محمد جاسم، المصدر السابق، ص١٠٩.

(١٣) شيت، ازهار، نماذج واستخدامات الاحجار الكريمة عند الاشوريين، مجلة التربية والعلم، م١٣، ع١، موصل، ٢٠٠٦، ص٦٠ . ٦٣.

(١٤) الحلبي، عمر بن احمد، المصدر السابق، ص٨٦.

(١٥) الحلبي، عمر بن احمد، المصدر نفسه، ص٥١ . ٧٠.

(١٦) عكاشة، ثروت، فن العراق القديم (سومر وبابل وآشور)، بيروت، ١٩٧٤، ص٢٢٤.

(١٧) المصدر نفسه، ص٢٢٨.

(١٨) العبيدي، صلاح حسين، الفنون الزخرفية العربية والإسلامية، بغداد، ١٩٨٧، ص١٢١.

(١٩) المصدر نفسه، ص١٢١.

(٢٠) المصدر نفسه، ص١٢١.

(٢١) العبيدي، صلاح حسين، المصدر السابق، ص٢٢٢.

(22) Moorey, P. R. S, op. cit, P. 61.

(23) Moorey, Ibid , P. 61.

(٢٤) مجيد احمد، سهيلة، الحرف الصناعات اليدوية في بلاد بابل وآشور، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ٢٠٠٠، ص٩٣.

(25) Moorey, P. R. S, Ibid , P. 57.

(26) Moorey, Ibid , P. 57.

(27) Moorey, Ibid , P. 57 – 58.

(28) Moorey, Ibid , P. 58.

(29) Moorey, Ibid, P. 58.

(30) Moorey, P. R. S, Ibid, P. 58.

(*) راية أور: اكتشفها الاثاري البريطاني الشهير (ليوناردوولي) في المقبرة الملكية وهي محفوظة حالياً في المتحف البريطاني بلندن، تقدر ابعادها بنحو (٥٤ * ٢٣) سم ويرجع تأريخها إلى ما بين سنتي (٢٧٠٠ . ٢٣٠٠ ق. م) للمزيد ينظر: مظلوم، طارق

عبدالوهاب، النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث، حضارة العراق، ج٤، بغداد، ١٩٨٥، ص٤٠.

(٣١) صاحب، زهير، الفنون السومرية، بغداد، ٢٠٠٤، ص١٤٨.

(٣٢) القار: وهو من مواد الالصاق واللحم والربط التي تستخدم في التطعيم ويكون ذا صبغة سوداء وهو متوفر وجيد وسهل الاستعمال. للمزيد ينظر: مجيد احمد، سهيلة، المصدر السابق، ص٢٠٦.

(٣٣) صاحب، زهير، المصدر السابق، ص١٤٨.

(٣٤) مظلوم، طارق عبدالوهاب، المصدر السابق، ص٤٠.

(٣٥) بارو، اندريه، سومر وفنونها وحضارتها، ترجمة وتعليق: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٧٧، ص١٩٩.

(٣٦) بارو، اندريه، المصدر نفسه، ص١٩٩.

(37) CAD, P.21: b.

(٣٨) مظلوم، طارق عبدالوهاب، المصدر السابق، ص٤٠.

(39) Strommenger , E, The art of Mesopotamia, London, 1964, P. 389.

(٤٠) الصيواني، شاه محمد علي، أور، بغداد، ١٩٧٦، ص٥٨.

(٤١) شمس الدين، فارس، الخطاط، سلمان عيسى، تاريخ الفن القديم، بغداد، ١٩٨٠، ص٤٩ . ٥٠.

(٤٢) شمس الدين، فارس، المصدر السابق، ص٤٤ . ٥٠.

(٤٣) مظللوم، طارق عبدالوهاب، المصدر السابق، ص٤٠.

(*) الالكتروم: سبيكة تتكون مزيج مصهور من الذهب والفضة. ينظر: شمس الدين، فارس، المصدر السابق، ص٤٢.

(44) Strommenger , E, op. cit, P. 399.

(45) Woolley, L, Mesopotamia and the Middleeast , London, P. 87 – 80.

(*) الخنجر الذهبي: يبدو إن استخدام المعادن الثمينة كالذهب والفضة في مجال الاسلحة كان قليلاً ونادراً مقارنة مع المعادن الاخرى بسبب ارتفاع أسعار هذه المعادن، إذ كانوا يستخدمونها بوصفها زينة أو هدايا تقدّم في الاحتفالات والطقوس الدينية. للمزيد ينظر: مجيد احمد، سهيلة، المصدر السابق، ص٩٣.

(47) Strommenger , E, op. cit, P. 399.

(٤٨) شمس الدين فارس، المصدر السابق، ص٤٩. للمزيد ينظر:

Woolley, L, op. cit, P. 78 - 80

(٤٩) مجيد احمد، سهيلة، المصدر السابق، ص٩٣.

(50) Strommenger , E, op. cit, P. 399.

(٥١) مجيد احمد، سهيلة، المصدر السابق، ص٩٤.

(٥٢) المتولي، نوالة، المصدر السابق، ص٣٨٩.